وفي العشرين من آب أغسطس وصل جـواب إيديجـر بالرفض . وكان هذا الرد مهينا وساخرا ، فقـد نعت الشيخ علي بالخائن وأبـلغ إيفـان أن قازان تبصق عليـه وعلى روسيا وتفاخر باسلامهـا وترفض المسيحية وان « كل شيء جاهز هنا لكم ونحن تدعوكم الى وليمتنا » . ومع ذلك فإن واحدا من المسلمين المتنفذين فر تحت جنح الظلام من المدينة ومعه نساؤه وخدمه واعلن خضوعه للروس . وقد ذكر أن عدد المدافعين عن المدينة كان يبلغ حوالين ثلاثين ألفا مع وفرة من الأغذية والذخائر ، وكان استقبال إيفان وديا لهؤلاء الهاربين . وفي صباح اليوم التالي اصدر إيفان أمره بالتقدم . وكان يقف منتصبا في معسكره أمام راية رسمت عليها صورة المسيح ، وبينما كان يركز عليها ناظريه توجه إليها قائلا بصوت عال : « أبي ، باسمك نحن نتقدم » .

وتم إنزال المدافع والبارود من ظهور المراكب ، وجمعت الأخشـاب لتشييد بروج الحصار حيث كانت مجموعات يتألف كل منها من عشرة مشاة تنقل المواد الضرورية لكل برج . ورفعت الايقونات والصلبـان والقناديل عاليا كما رفع الصليب الكبير الذي كانوا ينقلونه معهم في كل معركة منذ عدة عصور . وكان يحرس الرموز الكنسية هذه كهنة ذوو شعور طويلة وثياب طقسية بينما كانت رائحة البخور تتصاعد في نسيم الصباح . وعندما اخترقت الشمس الضباب وانارت أعالي المآذن فوق أسوار قازان القاتمة بدأت الطبول تقرع ومئات الأبواق يرتفع منهـا الضجيج .

ولم يكن الروس يخفون تقدمهم نحو التتر . وقـد قـام الجيش الروسي كله بوقفة جديدة يتلو صلواته قبل اندفاعه في الهجوم . وكان لدى التتر كل الوقت اللازم للاستعداد قبل وصول العدو .

كانت قازان مثل موسكو تتألف من مدينة ومن حصن واسع بما فيه الكفاية ليؤوي كل الشعب في حالة الخطر . وعندما دخل الروس إلى المدينة في ذلك الصباح وجدوها خالية على عروشها يخيم عليهـا